الأرشيفات الإلكترونية

ارتبطت الدراسات الوثائقية الحديثة بشقيها .أي اتخاذ الوثيقة موضوعا للبحث، واعتمادها مصدرا للمعلومات خاصة في مجال الدراسات التاريخية . بالتحديث وبظهور الدولة القومية أي بعصر الثورة الصناعي كما أشرت من قبل.[1]

كما ارتبط بهذا العصر أيضًا، الاهتمام بجمع الوثائق وحفظها، وبإنشاء الأرشيفات القومية، مما أدى إلى ظهور علم الأرشيف،2 وخلال عصر الثورة الصناعية تطورت أشكال الوثائق وأنواع الوسائط المادية التي تُحمل عليها البيانات، وقد تطورت مؤسسات الأرشيف تطورًا هائلًا بظهور التقنيات الحديثة لتدوين الذاكرة الإنسانية منذ منتصف القرن التاسع عشر، ثم طوال القرن الماضي الذي شهد الانتقال إلى عصر ثورة المعلومات والاتصالات وحضارة الموجة الثالثة،3 فظهرت الأرشيفات السمعبصرية،4 بما استتبع ذلك من ظهور مجالات دراسية جديدة في علوم الأرشيف، كما شهدت مؤسسات العمل الأرشيفي نقلة نوعية جديدة في عملها، أدت إلى تحولات مهمة في أهداف دراسات الوثائق والأرشيف وموضوعاتها وتوجهاتها.5

ومثلما أدى اختراع الوسائط الحديثة مثل آلات التصوير الفوتوغرافي، وأجهزة تسجيل الصوت وإعادة بثه، وآلات التصوير والعرض السينمائي إلى إنتاج أنواع جديدة من الوثائق، وبالتالي ظهور مجالات معرفية جديدة متفرعة عن علوم الوثائق والأرشيف؛ فإن ظهور الوثائق الإلكترونية والأرشيفات الإلكترونية أدى إلى ظهور مجال دراسي جديد يدرس انتاج الوثيقة الإلكترونية وعملية تداولها ثم حفظها، فضلًا عن دراسة أركانها؛ فأصبحت هناك مجالات موازية لعلوم الدبلوماتيك والأرشيف وإدارة الوثائق الجارية تدرس الوثيقة الإلكترونية في مراحلها المختلفة، وتضع قواعد تحليلها والتأكد من صحتها.

فاليوم والعالم يدخل بقوة في عصر مجتمع المعرفة يأخذ دور الأرشيف أبعادًا جديدة، فالأرشيفات بأنواعها المختلفة مصدر من مصادر المعرفة، التي هي أساس القوة في العصر الراهن، لقد بات جوهر التنمية الإنسانية مرتبطًا بعملية توسيع الخيارات أمام الناس، الأمر الذي يعني إتاحة أكبر قدر من المعلومات أمامهم، ويشكل الأرشيف كمصدر من مصادر المعلومات الأساسية في المجتمع، نقطة من نقاط الارتكاز في هذه العملية، ففي العصر الجديد أصبحت التحولات على الصعيد الثقافي والمعرفي حاسمة في إنجاز التطور المنشود، فالمعرفة هي كلمة سر العصر الجديد، وقد باتت منتجًا استراتيجيًا في هذا العصر، لقد أضحى اقتحام مجتمع المعرفة والدخول إليه بقوة وجسارة ضرورة لازمة لتحقيق التنمية البشرية الشاملة والمستدامة، وكما ورد في تقرير التنمية الإنسانية العربية الأول الصادر عام 6:2002 فإن" المعرفة هي عماد التنمية، وتزداد أهميتها في عصر العولمة الذي يتسارع فيه التغيير التكنولوجي بشكل غير مسبوق. فالمعرفة سلعة ذات منفعة عامة تدعم الاقتصادات والبيئة والمجتمعات، وتنتشر في جميع جوانب النشاط الإنساني"7 وإذا كان اكتساب المعرفة وسيلة مهمة لبناء قدرة الإنسان، فإن له قيمة في حد ذاته باعتبار أن المعرفة هي العنصر الرئيسي في الإنتاج، والمحدد الرئيسي للإنتاجية ورأس المال البشري، فهناك تكامل واضح بين اكتساب المعرفة والقوة الإنتاجية للمجتمع، ومن هنا فإن قلة المعرفة أو ركود تطورها يؤديان إلى ضعف القدرة الإنتاجية وتضاؤل فرص التنمية، حتى أن فجوة المعرفة أصبحت تعد المحدد الرئيسي لمقدرات الدول في عالم اليوم بعد أن كانت فجوة الدخل هي التي تحدد قدرات الدول،8 وتشكل الثقافة بمعناها الواسع9 روح التنمية،10 كما يشكل الإنتاج الثقافي للمجتمع وصناعاته الثقافية دعامة أساسية من الدعامات التي يقوم عليها مجتمع المعرفة"11 وتتوقف قيمة المعرفة لأغراض التنمية على مدى تطبيقها بفاعلية، لذلك يتطلب السعي لإقامة مجتمع يقوم على المعرفة وضع استراتيجيات فوق قطاعية تحقق التكامل بين استيعاب المعرفة واكتسابها ونشرها"،12 ويشكل توافر الإطار المؤسسي الملائم عنصرا مهما في عملية اكتساب المعرفة،13 كما يشكل توافر المعلومات وتدفقها عنصرًا أساسيًا في هذه العملية. 14

ومن هذه الزاوية يمكن أن ننظر إلى الأرشيف ومؤسساته، فقد بات من الضروري أن نحدث ثورة في مفاهيم العمل الأرشيفي وفي آليات العمل بالمؤسسات الأرشيفية، قوامها إتاحة مواد الأرشيف للكافة بالاستعانة بالتقنيات الحديثة، تطوير التشريعات الأرشيفية بما يلائم هذه الروح الجديدة، روح الإتاحة لا المنع، ويتوافق مع متطلبات مجتمع المعرفة، مع الاستفادة بإمكانيات الثورة الرقمية في عمل المؤسسات الأرشيفية، وهي أمور تستدعي أساليب جديدة في التكوين الأرشيفي.

وعندما نتحدث عن الوثائق الإلكترونية والأرشيف الإلكتروني فإننا نتحدث عن ثلاثة مستويات، أو ثلاث مراحل مر بها العمل الأرشيفي:

المرحلة الأولى: استخدام الحاسب الآلي في إعداد فهارس إلكترونية للأرشيفات وإدارة حفظ الوثائق بدلًا من الفهارس الورقية التقليدية، وذلك باستخدام نظم قواعد البيانات، وقد سهلت هذه الخطوة عمليات البحث عن الوثائق داخل الأرشيفات وإدارات حفظ الوثائق.

المرحلة الثانية: رقمنة الوثائق الورقية في الأرشيف القومي وفي إدارات الوثائق الجارية، عن طريق مسحها ضوئيًا أو تصويرها بالكاميرات الرقمية، وتخزين صورها على أجهزة الحاسب والخوادم، ثم ربط صور الوثائق بالفهارس الرقمية، وقد ساعدت هذه الخطوة على حماية الوثائق القديمة من الضياع، أو التلف لتكرار الاستخدام، بالإضافة إلى سهولة الوصول إليها وإمكانية إتاحتها عن بعد.

المرحلة الثالثة: انتاج الوثائق وتداولها وحفظها بشكل إلكتروني دون أن تكون لها أصول ورقية، سواء كانت هذه الوثائق في شكل بريد إليكتروني أو رسائل نصية أو ملفات إلكترونية بأنواعها المختلفة أو معاملات إليكترونية تتم عبر الإنترنت أو الشبكات المغلقة.

وتطرح هذه المرحلة مجموعة من الإشكاليات الجديدة على العمل الأرشيفي؛ أهمها:

- **كيفية إطالة عمر الوثائق الإلكترونية؛** فهناك تطور سريع في البرمجيات وفي الوسائط وفي الأجهزة، وبالتالي لابد من ملاحقة هذا التطور، حتى لا تضيع الوثائق أو نفقد القدرة على قراءتها والتعامل معها؛ ومن وسائل معالجة هذه المشكلة:
  1. إتاحة قدرة النسخ الحديثة من البرامج على التعامل مع النصوص المدونة بالنسخ القديمة.
  2. نقل المواد على وسائط أحدث باستمرار.
  3. حفظ نسخ بديلة من الوثائق.
- **ضمان إجراءات الأمان للأرشيفات ولمواقع المؤسسات الحكومية والأهلية والخاصة،** لحمايتها من عمليات الاختراق والقرصنة؛ ووضع ضوابط للنفاذ للوثائق تماثل درجات السرية في الوثائق التقليدية.

لقد أدى ظهور الوثائق الإلكترونية إلى تعقد نظم الرقابة والتقييم والفرز والإعدام، فملكية الوثائق الإلكترونية لا تقتصر عادة على هيئة واحدة، بل تكون جزء من شبكة أكبر إقليمية أو قومية أو عابرة للقومية، كما أن التعامل معها يقتضي معرفة بقواعد البيانات والبرامج ونظم المعلومات التي تتعامل معها، وتمثل نظم الوثائق الإلكترونية ثلاث تحديات أساسية للأرشيفي:

أولا: تهدد بإحداث تحول للإطار البيروقراطي المستقر نسبيًا واستبداله ببناء تنظيمي ما زال في بدايته الأولى.

ثانيا: تقودنا إلى أساليب جديدة من الاتصالات وأشكال جديدة من الوثائق لم تتضح حدودها بعد.

ثالثا: تطور تكنولوجيا المعلومات الحديثة تحرم الأرشيفيين من إمكانية إصدار أحكام الفرز بعد إنشاء الوثيقة الإلكترونية بشهور أو ربما حتى سنين.[15]

وفي البداية لم ينتبه الأرشيفيون إلى أهمية التعامل مع الوثائق الإلكترونية، لكن منذ منتصف التسعينيات من القرن الماضي بدأ الانتباه إلى هذا النوع من المواد.[16]

لقد بدأ العمل في مصر في السنوات الأخيرة في اتجاه تطوير البنية الرقمية في مؤسسات الدولة المختلفة، وفي الاتجاه نحو تبني مشروع الحكومة الإلكترونية، وهي أمور تنعكس بوضوح على العمل الأرشيفي، وفي نفس الوقت شهدت السنوات الأخيرة تطورًا واضحًا في عمل الأرشيف القومي المصري (دار الوثائق القومية) وتبني سياسات التحول الرقمي فيها، ولا شك في أن حل جزء كبير من مشكلات الأرشيف القومي المصري وتلبية متطلبات تطوير دار الوثائق القومية، يتوقف على توفير أعداد كافية من المتخصصين المؤهلين تأهيلًا علميًا ومهنيًا ملائمًا لهذه المتطلبات من ناحية، ومن ناحية أخرى فإن التقنيات الحديثة في إنتاج أوعية المعلومات الوثائقية، والاتجاه إلى

التحول الرقمي في عمل مؤسسات المجتمع المختلفة بما يترتب عليه من ظهور الأرشيفات الإلكترونية، واتجاه دار الوثائق نفسها إلى سياسة التحول الرقمي في تقديم خدماتها للباحثين وللجمهور، تفرض متطلبات جديدة على عملية التكوين الأكاديمي للأرشيفيين، مع مراعاة ضرورة توفير إمكانيات التعليم المستمر، والتأهيل التدريبي أو إعادة تأهيل غير المتخصصين للعمل الأرشيف القومي في مرحلة التحول الرقمي، وفي إدارات الوثائق الجارية ومراكز المعلومات الوثائقية.

تبقى نقطة أخيرة تتعلق بحاضرنا اليوم ومستقبل التوثيق، فإذا كنا قد فقدنا الكثير من وثائقنا عبر العصور فعلينا اليوم أن ننتبه كي لا نفقد ما ينتج كل يوم من وثائق، خاصة تلك الوثائق التي تنتج بأدوات العصر الجديد، عصر حضارة الموجة الثالثة، عصر ثورة المعلومات والاتصالات، عصر مجتمع المعرفة، فقد فقدت المؤسسات الرسمية احتكارها لإنتاج الوثائق، فاليوم يمكن لكل من يحمل في يديه كاميرا رقمية أو أي باد أو جهاز جوال أن يكون موثقا مستقلا متجولا وسط الأحداث، وأن يبني أرشيفه الخاص بنفسه، ولعل ثورات الربيع العربي وما تشهده من أساليب جديدة للتوثيق الحي للحدث والتداول السريع للمواد الموثقة، سواء كانت نصوص في شكل تدوينات أو تغريدات أو بيانات سياسية أو صور رقمية ثابته أو مشاهد حية مصورة بكاميرات الفيديو أو الجوال، لعلها تلفت انتباها مبكرا نحن المشتغلين بالوثائق والأرشيف والتأريخ لأن نتتبع هذه المواد ونجمعها قبل أن تضيع.

[1] انظر : ميبج (برنار): الإنتاج الثقافي والتعددية الثقافية، ترجمة: عثمان مصطفى عثمان، في (تقرير المعلومات والاتصالات في العالم 1999 . 2000) الطبعة العربية، مركز مطبوعات اليونسكو، القاهرة، ص 63 . 67؛ مارتوج (جان بول) : حرية وسائل الإعلام ، ترجمة: أسعد حليم ،في (تقرير المعلومات والاتصالات في العالم 1999 . 2000) ص 72 وما بعدها.

2 انظر :ديلماوس: المرجع السابق، ص ص 199 . 203.

3 طرح المستقبلي الأمريكي ألفن توفلر مصطلح الموجة الثالثة في سياق تحليله لمراحل تطور الحضارة الإنسانية وللمراحل الكبرى التي مرت بها ، حيث اعتبر أن الثورة الزراعية هي الموجة الأولي والثورة الصناعية هي الموجة الثانية أما ثورة المعلومات الاتصالات، انظر :توفلر (ألفن): بناء حضارة جديدة، ترجمة: سعد زهران، ط1، مركز المحروسة للبحوث والتدريب والنشر، القاهرة، 1996.

4 انظر :هاريسون (هيلين ب.): الأرشيفات السمعبصرية على النطاق العالمي، ترجمة: عماد بدر الدين أبوغازي، في (تقرير المعلومات في العالم 1997/1998، ص ص 182 . 189) الطبعة العربية . مركز مطبوعات اليونسكو، القاهرة، 1999؛ هيئة التسجيلات البريطانية: المحفوظات المسموعة المرئية، ترجمة: مصطفى علي أبو شعيشع، في (الاتجاهات الحديثة في المكتبات والمعلومات، العدد التاسع، 1998، ص ص 124 . 133) المكتبة الأكاديمية، القاهرة، 1998.

5 انظر :هاريو (أولي): خدمات المعلومات والمكتبات والأرشيف، ترجمة: فايقة حسن، (تقرير المعلومات والاتصالات في العالم 1999 . 2000، ص ص 104 . 115) الطبعة العربية، مركز مطبوعات اليونسكو، القاهرة، 2002، ديلماوس: المرجع السابق، ص ص 207 . 208.

6 تقرير التنمية الإنسانية العربية العام 2002، برنامج الأمم المتحدة الإنمائي والصندوق العربي للإنماء الاقتصادي الاجتماعي، عمان، 2002.

7 المصدر السابق، ص ص 5-6.

8 المصدر السابق، ص 17.

9 للثقافة معناها العام الذي يتفق عليه السسيولوجيون والأنثروبولوجيون وهو أن الثقافة استجابة الإنسان لإشباع حاجاته، من خلال نماذج معيشية أو نماذج للفكر والعمل ابتدعها الإنسان في سبيل البحث عن إشباع هذه الحاجات المعيشية، وهى نماذج مكتسبة يصل إليها الإنسان إما بالتفكير والعقل كاستجابة للوسط الذي يعيش فيه، أو عن طريق النقل من المجتمعات الأخرى، كما تتميز الثقافة بأنها اختراع أو اكتشاف إنساني ينتقل من جيل إلى جيل مع القابلية للإضافة وللتعديل والتغير، انظر :إبراهيم بيومي مدكور وآخرون: معجم العلوم الاجتماعية، الشعبة القومية لليونسكو والهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1975، مادة: ثقافة؛ سيمور _ سميث (شارلوت): موسوعة علم الإنسان المفاهيم والمصطلحات الأنثريولوجية، ترجمة محمد الجوهري وآخرون، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 1998، مادة:الثقافة؛ مارشال (جوردن):موسوعة علم الاجتماع، ترجمة محمد الجوهري وآخرون، المجلد الأول، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 2000، مادة: ثقافة؛ أحمد خليفة (مشرفا): المعجم العربي للعلوم الاجتماعية، اليونسكو و المركز الإقليمي العربي للبحوث والتوثيق في العلوم الاجتماعية (طبعة أولية) القاهرة، 1994، مادة: ثقافة؛ بودون (ر.) وبوريكو (ف .):المعجم النقدي لعلم الاجتماع، ترجمة: سليم حداد، مادة: الثقافوية والثقافة؛ وليامز (رايموند): الثقافة والمجتمع، ترجمة: وجيه سمعان، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 2001، ص ص 10 . 14.

Art: Culture ENCARTA , Encyclopedia 2000 , (CD , Microsoft , 2000)

أما الثقافة بمعناها الضيق فيقصد بها الأنشطة الفكرية الإبداعية والفنية التي يمارسها الإنسان، أي أن هذا المعنى ينصرف إلى الآداب والفنون بشكل أساسي ثم إلى بعض أشكال الإنتاج الفكري، انظر:

ENCARTA , Encyclopedia 2000 , Art : Culture

http://www.mcom.ttu.edu/saathoff/MCOM3300/PowerPoint3300/3300Ch8-11/sld086.htm

http://irpud.raumplanung.uni-dortmund.de/erp/english/kongress.html.

10 تقرير التنمية الإنسانية العربية، ص 8.

11 مفهوم الصناعات الثقافية من المفاهيم لصيقة الصلة بالتحديث وبعصر الثورة الصناعية، ويقصد به عادة الأعمال الثقافية الموجهة إلى الجماهير الواسعة، والتي تنتج بأسلوب الإنتاج الكبير أو الإنتاج للجماهير،حول ثقافة الجماهير أنظر :معجم العلوم الاجتماعية ، مادة : ثقافة الجماهير؛ موسوعة علم الاجتماع مادة : ثقافة جماهيرية (ثقافة شعبية(؛ وتدخل في عملية إنتاجها رؤوس أموال كبيرة، وتمر بمراحل متعددة حتى تخرج في صورتها النهائية، ويدخل في إنتاجها ممول أو منتج وعمالة كبيرة العدد نسبيا ليست بالضرورة هي المصنف للعمل أو المبدع له ، وتشبه العملية الإنتاجية فيها ما يتم في مجال الصناعات الحديثة ، مما جعل هذا النوع من المنتج الثقافي يوصف بأنه " صناعة ثقافية " حيث تتحول طرق إنتاج الأعمال الإبداعية والفكرية من الطرق التقليدية التي يلعب فيها المبدع الفرد أو مجموعة المبدعين الدور الأساسي في إخراج المنتج الثقافي بصورته النهائية ، لتتحول إلى عملية إنتاجية مركبة يشارك فيها آخرون ، ويستعاض عن الاتصال المباشر بين المبدع والمتلقي بآليات السوق لنقل العمل الإبداعي إلى قطاعات أوسع من الجمهور من خلال وسائط مختلفة، ومثلما كان التصنيع مسئولا عن النمو الهائل في قدرة المجتمعات الحديثة على توليد الثروة مقارنة بالمجتمعات التقليدية ، فإن التصنيع الثقافي كان مسئولا كذلك عن التطور الهائل في القدرة على توليد "الثروة" الفكرية والفنية والثقافية في تلك المجتمعات، وعلى تحقيق الاتصال الواسع بين المبدع والجمهور، ذلك الجمهور الذي أصبح جمهورا كبيرا من المتلقين، وعن تغيير نوعية المتلقين للمنتج الثقافي فبعد أن كانت الصفة الغالبة للجمهور المتلقي للفنون والآداب "نخبوية"، أتاحت الصناعات الثقافية إمكانية وصول الإنتاج الثقافي إلى قطاعات واسعة من الجماهير التي تنتمي إلى مختلف الطبقات بغض النظر . حتى . عن معرفة المتلقين الجدد للقراءة، وكذلك أدى ظهور الصناعات الثقافية وتطورها إلى تغير محتوي المنتج الثقافي، بل وتغير رسالته التي يحملها، وتعاظم تأثير الإنتاج الثقافي في المجتمع بصورة لافتة، ومن أبرز الأمثلة على الصناعات الثقافية السينما والدراما التليفزيونية ونشر الكتب والتسجيلات الموسيقية والغنائية المنتجة بهدف التسويق الواسع والبرامج التليفزيونية الثقافية، أنظر http://www.unesco.org/culture/industries/ :إذن فالصناعة الثقافية تقوم على:

"مادة خام" هي الإنتاج الفكري أو العمل الإبداعي، وعملية تحويلية تتم عبر التصنيع الذي يعتمد على المقومات التقليدية للصناعة : التنظيم ورأس

المال وقوة العمل ووسائل الإنتاج المتطورة ، وينتج عن كل هذا عمل إبداعي في صورة جديدة ، ثم تأتى في النهاية عملية التسويق، حول التصنيع أنظر :موسوعة علم الاجتماع ، المجلد الثاني ، مادة : الصناعية ، التصنيع؛ المعجم العربي للعلوم الاجتماعية ، مادة : تصنيع.
ENCARTA , Encyclopedia 2000 , Art : Industry

12 تقرير التنمية الإنسانية العربية، ص 6.

13 المصدر السابق، ص 17.

14 انظر :هاميلينيك (ج): التنمية البشرية، ترجمة: بهجت عبد الفتاح، في (تقرير الاتصالات والمعلومات في العالم 1999-2000، ص ص 23 ـ 45) مركز مطبوعات اليونسكو، القاهرة، 2002.

15 بومجارد، دان: الأرشيف المتروبولي في القرن العشرين: فرز وإعدام الملفات، في: (روبرتس، م.ف. محررا: الأرشيفات والمدن الكبرى، ترجمة عثمان مصطفى عثمان، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 2003، ص ص 347 ـ 355) ص 349.

16 نفس المرجع، ص 349.